التي شنها العدو ضدها لترويعها ، واستعدت في بساطة لما هو اكثر واكبر(١٢) . من هنا كانت خيبة الامل والمرارة التي شعرت بها الجماهير عندما اعلن عن قبول وقف اطلاق النار .

كانت الجماهير على حق في الشعور بالمفاجأة عند بدء الحرب ، وكانت على حق أيضا في الشعور بالمرارة وخيبة الامل عند قبول وقف اطلاق النار .

*

عندما اندلعت الحرب . كانت ظروف النضال العربي تعاني من حالة التراجع الجماهيري التي بدأت منذ وقف حرب الاستنزاف ومذابح ايلول ١٩٧٠ .

كانت الجماهير صامدة ، وذلك يعني أنها كانت في حالة دفاع مستمر . لم تخل السنوات الثلاث من هجمات جماهيرية مضادة (تزايد نسبة عمليات الثورة الفلسطينية داخل الارض المحتلة ، اعدام وصفي التل ، العمليات الخارجية ، مؤتمر نصرة الشعب الفلسطيني) ولكنها بشكل عام ظلت في حالة «دفاع» . كان معنى ذلك تزايد دور وهيمنة الاجهزة والمؤسسات الحكومية في مسار النضال . وما تبعه من تزايد الهجمات القمعية على الجماهير والتي اتخذت اكثر اشكالها وضوحا في محاولات الترويض والاخضاع المستمرة للقوى المنظمة للثورة الفلسطينية (وهي المعبر المنظم الوحيد عن ارادة النضال الجماهيري المسلح) وتتابعت المذابح ، وفي كل مرة كان نفوذ « الحكومات » يزداد (بفعل الاتفاقيات) ويتراجع دور الجماهير ويتشتت (لضعف ادواتها المنظمة) وحيث لم تستطع مؤامرات الترويض الحكومية ان تفلح ، تقدمت عصابات العدو الصهيوني بقيادة اهارون ياريف تشن الاغارات ، وتغتال الكوادر لتضمن بقاء الجماهير في حالة الدفاع .

كان الهدف — ولا يزال — هو بث اليأس من فكرة حرب الشعب . أي من ثقة الجماهير بقواها وقدرتها على التحرير .

ومنذ عام تقريبا ، تبلور هذا الهجوم الرسمي في الاقتراح الذي رفضته قوى الثورة الفلسطينية وقتذاك ، والقاضي بأن تخضع هذه القوى للقيادة العربية الموحدة .

وبرغم رفض هذا الاقتراح ، الا انه بات واضحا ان قوى الثورة الفلسطينية (لا يجب ان ننسى أنها القوى الجماهيرية العربية الوحيدة المنظمة المسلحة) مقبلة على مرحلة الخضوع الكامل للوصاية الرسمية العربية ، وانها عمليا وضعت في هذا الموقف طوال العام الماضي .

وكان منطقيا ، ان تتراجع تبعا لذلك موجة الوحدة العربية(١٣) وان يتحول محور التعاون الرسمي العربي نحو اليمين .

كان هذا هو واقع الامة العربية عشية حرب ١٩٧٣ ، ولا يمكن عزل هذا الواقع عن الظروف العالمية التي اصطلحوا على تسميتها بظروف **الوفاق الدولي** والذي يعني في الواقع تخفيف حدة الصدام في العالم كله ، في ظروف مال فيها ميزان القوى العالمي لصالح الاستعمار وبشكل خاص لصالح امريكا(١٤) .

ثم اندلعت الحرب . . وظاهرة الحرب ، اي حرب ، تصبح عندما تندلع عاملا كيانه متميز عن العوامل التي اوجبته .

وهكذا ، أضيف الى بوتقة العوامل الموضوعية المؤثرة في مجرى الصراع ، عامل الحرب ذاتها وما تتركه وتحدثه من اثار بعيدة المدى . ويمكن تلخيص هذه العوامل وترتيبها حسب الاهمية والتأثير كما يلي :